تواصل الحضارة الإسلامية ووسائل انتشارها

*Pahar Kurniadi**

تمهيد

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، أما بعد ؛ فهذا بحث في الحضارة الإسلامية موضوعي في تواصل الحضارة ووسائل انتشارها ، نرجو من الله أن ينفعَ به الباحث والعام ، وأن يجعلَ هذا العملَ خالصاً لوجهِه الكريمِ ، ونرجو ممن اطلع عليه من الإخوانِ ، الغضَّ عما فيه من النقصان ، وما التوفيق إلا بالله عليه توكلنا وإليه أنبناَ.

الحضارة تعني في أصل اللغة الإقامة في الحضر ، والحضارة ضد البادية ، يقال فلان من أهل الحاضرة ، وفلان من أهل البادية. وفي تاج العروس: الحضارة والحضرة هي المدن والقرى والريف ، سميت بذلك لأن أهلها حضروا الأمصار ، ومساكن الديار ، والتي يكون لهم بها قرار.

لقد تعددت تعريفات الحضارة وتنوعت تبعاً لذلك دلالات الحضارة بتنوع تعريفاتها ، فقد رأى بعض الباحثين أن الحضارة هي "مدى ما وصلت إليه أمة من الأمم في نواحي نشاطها الفكري والعقلي من عمران وعلوم وفنون وما إلى ذلك ، والترقي بها في مدارج الحياة ومسالكها حتى تصل إلى الغاية". وهذا يعني أن الحضارة حسب هذا التعريف تختص بالجانب المادي فقط.

وقد عرفها مجموعة من الألمان هم (راتناو- توماس مان - كسيرلنج) بأنها "المظاهر الفكرية التي تسود أيّ مجتمع". وهذا يعني أن الحضارة مرادفة للثقافة ومقتصرة على الجانب الفكري أو المعنوي فقط.

وفي كلتا الحالتين نلاحظ أن الحضارة قد قُصرت على جانب واحد فقط ، فلم يتم الإحاطة بكلا الجانبين المعنوي والمادي ، وهذا يدعونا إلى اختيار تعريف آخر للحضارة يشمل كلا هذين الجانبين ، وعليه تكون الحضارة هي الجهد الذي يقدمه مجتمع من المجتمعات لخدمة المجتمع البشري في جميع نواحي حياته المعنوية والمادية.

بناءً على ما سبق نستطيع القول أن الحضارة تتضمن جانباً معنوياً يتمثل في الثقافة التي تعني بالقيم الثابتة والمبادئ الراسخة التي تقوم عليها الحضارة ، وجانباً مادياً يتمثل في المدنية التي تعني بالجانب المادي البحت للحضارة ، وهي على نوعان مدنية خاصة تتميز بطابع ثقافي خاص ، مثل لباس المرأة ، ومدنية عامة لا تتميز بطابع ثقافي خاص ، مثل الآلات.

الجانب العلمي

أنزل الله عز وجل أول آية من كتاب الله تعالى تحث المسلمين وتحضّهم على العلم والتعلّم ، قال تعالى: {أقرأ باسم ربك الذي خلق. خلق الإنسان من علق. اقرأ وربك الأكرم. الذي علم بالقلم. علم الإنسان ما لم يعلم} [العلق:1-5]. وقد رفع الله -عز وجل- قدر العلماء حيث قال: {يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات} [المجادلة:17]. وقال الرسول ﷺ مبينًا أهمية العلم: (طلب العلم فريضة على كل مسلم) [مسلم وابن ماجه].

وعندما أُسر المشركون في بدر ، جعل الرسول ﷺ فداء كل واحدٍ منهم أن يعلم عشرة من الصحابة ، وقد نشط المسلمون في جميع العصور في طلب العلم والمعرفة حتى تركوا لنا ميراثًا حضاريًّا رائعًا ، يعبر عن تفوقهم في كل مجالات الحضارة.

خلال قرنين من بعد وفاة نبي الإسلام كانت صناعة الكتب منتشرة في كل أنحاء العالم الإسلامي وكانتالحضارة الإسلامية تدور حول الكتب. فقد كانت توجد المكتبات الملكية والعامة والخاصة في كل مكان حيث كانت تجارة الكتب ومهنة النساخة رائجة وكان يقتنيها كل طبقات المجتمع الإسلامي الذين كانوا يقبلون عليها إقبالا منقطع النظير. وكان سبب هذا الرواج صناعة الورق بدمشق وسمرقند وبغداد. كانت المكتبات تتيح فرص الاستعارة الخارجية. وكانت منتشرة في كل الولايات والمدنالإسلامية بدمشقوالقاهرة وحلبوإيرانووسطآسيا وبلادالرافدين والأندلس وشمال أفريقيا.وشبكات المكتبات قد وصلت في كل مكان بالعالم الإسلامي.

وكان الكتاب الذي يصدر في دمشق أو بغداد تحمله القوافل التجارية فوق الجمال ليصل لقرطبة بإسبانيا في غضون شهر. وهذا الرواج قد حقق الوحدة الثقافية وانتشار اللغة العربية. وكانت هي اللغة العلمية والثقافية في شتى الديار الإسلامية. كما كان يعني بالنسخ والورق والتجليد. مما جعل صناعة الكتب صناعة مزدهرة في العالم الإسلامي لإقبال القراء والدارسين عليها واقتنائها. وكانت هذه الكتب تتناول شتى فروع المعرفة والخط وعلوم القرآن وتفاسيره واللغة العربية والشعر والرحلات والسير والتراث والمصاحفوغيرها من آلاف عناوين الكتب. وهذه النهضة الثقافية كانت كافية لازدهار الفكر العربي وتميزه وتطوره.وفي غرب أفريقيا في مملكتي مالي وتمبكتو أثناء ازدهارهما في عصريهما الذهبي ، كانت الكتب العربية لها قيمتها. وكان من بينها الكتب النادرة التي كانت تنسخ بالعربية ، وكانت المملكتان قد أقامتا المكتبات العامة مع المكتبات الخاصة.

يعتبر القرن التاسع الميلادي له أهميته في ثبت الحضارة الإسلامية المتنامية. لأن أعمال العلماء المسلمين كانت رائعة وكانوا رجالَ علمٍ متميزين وكان المأمون الخليفة العباسي العالم المستنير يحثهم علي طلب العلم. وقد أنشأ لهم بيت الحكمة لتكون أكاديمية البحث العلمي ببغداد تحت رعايته الشخصية. وأقام به مرصدامكتبة ضخمة. كما أقام مرصدا ثانيا في سهل تدمر بالشام. وجمع المخطوطات من كل الدنيا لتترجم علومها. وكان يشجع الدارسين مهما تنوعت دراستهم. وحقق يهذا التوجه قفزة حضارية غير مسبوقة رغم وجود النهضة العلمية وقتها. وهذا ما لم يحدث

بعد إنشاء جامعة ومكتبة الإسكندرية في القرن الثالث قبل المسيح. وبأنشاء مرصد قام الفلكيون والعلماء بتحديد ميل خسوف القمر ووضعوا جداول لحركات الكواكب وتم تحديد حجم الأرض ، وقاسوا محيطها ، فوجدوه 400 ،20 ميل ،وقطرها 6500 ميل. وهذا يدل علي أن العرب كانوا على علم وقتها ،بأن الأرض كروية قبل كوبرنيق بخمسة قرون. وفي عصر المأمون عمل الفلكيون في تدمر على وضع خريطة للأرض وأثبت علماء الفلك دورانها. وقياساتهم تقريبا لها تطابق ما قاسه علماء الفلك بالأقمار الصناعية ، وأنهم كانوا يعتقدون خطأ أنها مركز الكون ، يدورحولها القمر والشمس والكواكب. وهذا الاعتقاد توارد إليهم من فكر الإغريق. واكتشفوا الكثير من النجوم والمجرات السماوية وسموها بأسمائها العربية التي ما زالت تطلق عليها حتي الآن. وكانت كل الأبحاث في الفلك والرياضيات قد انفرد بها العلماء المسلمون وقد نقلوها عن الهنود الذين قد ترجموها عن الصينيين للعربية وقاموا بتطويرها بشكل ملحوظ.

النهضة العلمية

مع هذه النهضة العلمية ظهرت الجامعات الإسلامية لأول مرة بالعالم الإسلامي قبل أوروبا بقرنين.وكانت أول جامعة بيت الحكمة أنشئت في بغداد سنة 830 م ، ثم تلاها جامعة القرويين سنة 859 م في فاس ثم جامعة الأزهر سنة 970 م في القاهرة. وكانت أول جامعة في أوروبا أنشئت في "سالرنو" بصقلية سنة 1090 م على عهد ملك صقلية روجر الثاني. وقد أخذ فكرتها عن العرب هناك. ثم تلاها جامعة بادوفا بإيطاليا سنة 1222 م. وكانت الكتب العربية تدرس بها وقتها. وكان للجامعات الإسلامية تقاليد متبعة وتنظيم.فكان للطلاب زي موحد خاص بهم وللأساتذة زي خاص. وربما اختلف الزي من بلد إلي بلد ومن عصر إلي عصر. وقد أخذ الأوربيون عن الزي الجامعي الإسلامي الروب الجامعي المعمول به الآن في جامعاتهم. وكان الخلفاء والوزراء إذا أرادوا زيارة الجامعة الإسلامية يخلعون زي الإمارة والوزارة ويلبسون زي الجامعة قبل دخولها.وكانت اعتمادات الجامعات من إيرادات الأوقاف. فكان يصرف للطالب المستجد زي جديد وجراية لطعامه. وأغلبهم كان يتلقى منحة مالية بشكل راتب وهو ما يسمى في عصرنا بالمنحة الدراسية. فكان التعليم للجميع بالمجان يستوي فيه العربي والأعجمي والأبيض والأسود.

وبالجامعات كان يوجد المدن الجامعية المجانية لسكنى الغرباء وكان يطلق عليها الأروقة. والطلبة كان يطلق عليهم المجاورون لسكناهم بجوارها. وكان بالجامعة الواحدة أجناس عديدة من الأمم والشعوب الإسلامية يعيشون في إخاء ومساواة تحت مظلة الإسلام والعلم. فكان من بينهم المغاربة والشوام والأكراد والأتراك وأهل الصين وبخارى وسمرقند. وحتى من مجاهل أفريقيا وآسيا وأوروبا. وكان نظام التدريس في حلقات بعضها يعقد داخل الفصول. وأكثرها كان في الخلاء بالساحات أو بجوار النافورات بالمساجد الكبرى. وكان لكل حلقة أستاذها يسجل طلابها والحضور والغياب.ولم يكن هناك سن للدارسين بهذه الجامعات المفتوحة. وكان بعض الخلفاء والحكام يحضرون هذه الحلقات.وكانوا يتنافسون في استجلاب العلماء المشهورين من أنحاء العالم

الإسلامي ،ويغرونهم بالرواتب والمناصب ، ويقدمون لهم أقصى التسهيلات لأبحاثهم. وكان هذا يساعد على سرعة انتشار العلم وانتقال الحضارة الإسلامية بديار الإسلام. ويمكن القول أن ظهور الحضارة مفهوماً إسلامياً قد ترجم الرحمة التي بعث بها الأنبياء على أرض الواقع. وهناك وسائل عني بها الإسلام لاكتساب العلوم منها:

المساجد:

فهي أهم المنارات التي أضاءت للمسلمين طريق العلم والمعرفة ، فكان أول شيء قام به الرسول (بعد هجرته إلى المدينة بناء المسجد ، مما يدل على أهميته في حياة المسلمين ، وليعلموا أن المسجد هو أول خطوة في بناء الحضارة وتحقيق الازدهار والتقدم ، فكان المسجد مكانًا لاجتماع المسلمين مع الرسول (يسألونه ويجيبهم ، ويتناقشون في أمور دينهم ودنياهم ، وتقام فيه حلقات الذكر ، ويجلس المسلمون صغارًا وكبارًا ليتعلموا القرآن وأمور الإسلام.

ومن أهم المساجد التي أسهمت في بناء الحضارة الإسلامية: المسجد الحرام في مكة ، والمسجد النبوي في المدينة ، والمسجد الأقصى في القدس ، والمسجد الأموي في دمشق ، ومسجد عمرو بن العاص ، والجامع الأزهر في مصر ، ومسجد القيروان في تونس ، ومساجد أخرى كثيرة خرَّجت لنا أجيالاً مسلمة واعية استخدمت العلم في خدمة الإسلام ورفع شأن حضارة المسلمين ، ومن هنا ارتبطت نهضة الحضارة الإسلامية ، بقيام المساجد بدورها على الوجه الأكمل.

الكتاتيب:

والكُتَّاب عبارة عن مكتب تعليمي ، يتعلم فيه أطفال المسلمين القراءة والكتابة وأحكام تلاوة القرآن الكريم ، ويقوم بتعليمهم أساتذة متخصصون في علوم القرآن ، ويعد الكُتَّاب خطوة جديدة نحو تطوير المنشآت التعليمية بعد أن ضاقت المساجد عن استيعاب أعداد المتعلمين صغارًا وكبارًا ، فانتشرت هذه الكتاتيب في كل بلاد المسلمين ، وهذه مرحلة متطورة تدل على ازدهار العلم وارتفاع شأن العلماء والمتعلمين.

المكتبات:

وقد قام الحكام المسلمون بإنشاء المكتبات المملوءة بالكتب النافعة في مجالات العلوم ، واشتهرت بغداد ودمشق والقاهرة بمكتباتها الزاخرة بأمهات الكتب في كل فروع المعرفة الإسلامية ، ومن بين المكتبات التي نالت شهرة واسعة دار الحكمة التي أنشأها الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله عام 395 هـ، ووضع فيها الكثير من الكتب ، وقسمها إلى حجرات متعددة ، بعضها للاطلاع وبعضها الآخر لحلقات الدراسة ، وزينها بمفروشات جميلة ، وجعل بها عمالاً لخدمة طلاب العلم ، وكانت بها فهارس تسهل للطلاب الحصول على الكتب ، وكان بها نظام الاستعارة.

المدارس:

وتعددت المدارس ، وتنوعت ما بين خاصة بالخلفاء والحكام وأبنائهم ، حيث المعاملة والخدمة المتميزة التي تؤهلهم لتولى المناصب القيادية في الدولة الإسلامية ، وعامة لرعاية أبناء المسلمين في مختلف فروع المعرفة.

وقد برع الوزير السلجوقي (نظام الملك) في إنشاء العديد من المدارس ، وكانت على درجة عالية من النظام والفخامة ، وقد انتشرت هذه المدارس في بغداد وأصفهان والبصرة والموصل وغيرها ، ومن أشهر هذه المدارس: مدرسة نور الدين محمود زنكي ، وتعرف بالمدرسة النورية الكبرى بدمشق ، وأنشأها سنة 563 هـ على مساحة واسعة ، وجعل فيها قاعات للمحاضرات ، ومسجدًا للصلاة ، وحجرتين للمعلمين ، ومسكنًا لخادم المدرسة ، ومراحيض ليستخدمها الطلاب ، وقد تميزت بروعة البناء ودقة وجمال تصميمها ، وارتفاع مستوى التعليم فيها.

وكانت هذه المدارس منارات لتخريج العلماء ، وقد وُضعَتْ بها نُظُمٌ عالية لاختبار قدرات الطلاب ، وتوجيههم حسب كفاءاتهم ومواهبهم ومصاحبة الطلاب لأساتذتهم في مكان واحد ، وتمتع الطلاب وخاصة المتفوقين بكافة الميزات والمكافآت ؛ تشجيعًا لهم ، إلى جانب العناية بالترفيه عنهم ، وإقامة الرحلات المفيدة لهم ، والاهتمام بتنمية أجسامهم وعقولهم. هذا بالإضافة إلى العناية بتعليم الفتيات ، فقد اهتموا بهن اهتمامًا لا يقل عن الفتيان.

العلاقات الدولية في الحضارة الإسلامية

قدم الإسلام للمجتمع البشرى أسسًا للحياة ، تَكْفُل السلامة لهذا المجتمع ، وإن اختلفت عقائد الدول وأديانها.فنظم التعاون بين الأمم في كل المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية والاجتماعية ، كما قدَّم النظم المناسبة للتخفيف من ويلات الحروب ، وكان ما قدمه الإسلام في مجال العلاقات الدولية هو أول تعليمات سامية في هذا المجال عرفتها البشرية.

الجانب السياسي:

شرع الإسلام نظام المعاهدات ، والسفراء ، وتأمين الرسل المبعوثين إلى الدول الأخرى ، وكتب رسائل الدعوة لهذه الدول.

الجانب الاقتصادي:

أباح الإسلام التعامل بالعملة الفارسية والرومية في بداية الأمر ؛ حتى تم إنتاج عملة إسلامية خالصة تدريجيًّا ، كما سمح بالتجارة الحرة ، فكان التجار غير المسلمين يدخلون بتجارتهم العالم الإسلامي ، وعليهم أن يدفعوا بعض المال ، وهو ما كان يعرف بالعشور ، كما كان التجار المسلمون يدفعون عندما يدخلون أرضًا غير إسلامية بتجارتهم.

الجانب الاجتماعي:

أباح الإسلام للمسلمين أن يأكلوا طعام أهل الكتاب (اليهود والنصارى) من غير ما حرم الله ، وأن يقدموا لهم من طعامهم. وأباح للمسلمين أن يتزوجوا من نسائهم ، وأن يتعاملوا معهم ببر وصدق وعدالة ، وأن يسالموهم ما لم يظهر منهم عدوان أو خيانة ، وأن يكونوا منهم على حذر.

الجانب الثقافي:

أحل الإسلام للمسلمين أن يتبادلوا الثقافات مع غير المسلمين ، وأن يتعلموا لغاتهم ، بشرط أن يكون تبادل الثقافات بما لا يتعارض مع قواعد الشرع الإسلامي الحنيف ، ولهذا وجدنا

المسلمين الأوائل يتعلمون لغات غير المسلمين ، لنشر الإسلام ، وليأمنوا مكر أهل هذه اللغات بهم كما ترجموا كتبًا كثيرة بلغات مختلفة إلى اللغة العربية.

الحروب والفتوحات:

وضع الإسلام للحرب والسلم قواعد ونظمًا دقيقة ، أنقذت البشرية من أهوال الصراع والدمار ، وأتى الإسلام بمبادئ أخلاقية في مجال الحرب لم تعرفها البشرية من قبل.

فن العمارة الإسلامية

نشأت العمارة الإسلامية كحرفة بسيطة في البناء في أبسط أشكاله ، ثم تطورت حتى كوَّنت مجموعة الفنون المعمارية المختلفة. وفن العمارة من أهم مظاهر الحضارة التي توسعت وسيلة لانتشارها في العالم ، لأنها مرآة تعكس آمال الشعوب وأمانيها ، وقدراتها العلمية وذوقها وفلسفتها ، ومن الحقائق الثابتة أن العمارة كانت دائمًا الصورة الصادقة لحضارة الإنسان وتطورها وانعكاسًا لمبادئه الروحية على حياته المادية ، بما يكتب عليها -أي على العمارة- من كتابات وما ينقش عليها من نقوش.

وقد اشتمل الفن المعماري الإسلامي على عدة أنواعٍ منها: فن عمارة المساجد ، وهو أرقى فن معماري عند المسلمين ، وفن عمارة القصور ، وفن عمارة البيوت ، وفن عمارة المدارس ، وقد برع المسلمون في فنون العمارة بكل أشكالها ؛ لأنهم فهموا نماذج العمارة في الحضارات السابقة ثم طوروها بما يتناسب مع مجتمعاتهم وعاداتهم ، ثم أبدعوا بعد ذلك نموذجًا إسلاميًّا خاصًّا بهم.

وسنأخذ أمثلة لفن العمارة الإسلامية في بعض العصور الإسلامية لنرى مدى محافظة المسلمين على أسس وقواعد البناء الإسلامي.

عصر النبوة والخلفاء الراشدين:

طبق المسلمون في عهد النبي ﷺ ، والخلفاء الراشدين قواعد البناء في الإسلام أروع تطبيق.

المسجد النبوي: فقد بنى النبي ﷺ المسجد النبوي بالمدينة ، وكان هذا المسجد بسيطًا ، بما يتفق مع روح الدين الإسلامي ، ومع قواعد وأسس البناء في الإسلام ، وكان المسجد مربعًا ، وصحنه الأوسط مكشوفًا ، لا سقف عليه ، أما جوانبه الأربعة فكانت مسقوفة ، وكانت المساحة المسقوفة من الحائط المجاور للقبلة أكبر من غيرها ، وجدير بالذكر الإشارة إلى أهمية وجود الصحن المكشوف في وسط المسجد للإضاءة والتهوية.

وقد تم توسيع المسجد بعد عهد رسول الله ﷺ ، ففي عهدعمر بن الخطاب -رضي الله عنه- سنة (17 هـ) ، زيد في مساحة المسجد ، ونتج عن هذه الزيادة زوال الجدران التي بناها الرسول الكريم ﷺ ، ماعدا الجدار الشرقي التي كانت تلتصق به بيوت النبي ﷺ ، وقد اتبع المسلمون التخطيط الذي وضعه الرسول ﷺ لمسجده.

المسجد الأقصى: أقام عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- مسجدًا خشبيًّا عند الصخرة المقدسة التي ذكرت في قصة الإسراء والمعراج ، وإلى الجنوب من قبة الصخرة يوجد المسجد الأقصى ، حيث أقصى مكان وصل إليه البراق برسول الله ﷺ ليلة الإسراء.

البيوت: وكما كانت المساجد على عهد النبي ﷺ والخلفاء الراشدين بسيطة البناء ، كانت بيوتهم كذلك تتسم بالبساطة ، وقد كانت بيوت النبي ﷺ مبنية بالطوب اللَّبِن ، وهي تسع حجرات ، كان منها أربع حجرات من جريد عليها طبقة من الطين ، والخمس الباقية مبنية بالطوب اللَّبِن ، وكان سقفها في متناول اليد ، وكذلك كانت بيوت الصحابة.

المدن: بنى المسلمون في عهد الراشدين المدن ، ومنها مثلاً:

مدينة الفسطاط التي بناها عمرو بن العاص -رضي الله عنه- في مصر ، بأمر الخليفة عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-، واختار لها موقعًا متميزًا على النيل ، في الموضع الذي كان يشغله حصن بابليون ، وقد كان بناء المدينة في بداية الأمر على غير نظام هندسي دقيق ، برز فيه حرص المسلمين على الحفاظ على حرماتهم ، بعدم بناء نوافذ كبيرة مطلة على الشوارع ، وإنما كانوا يستمدون الضوء من فناء كبير بداخلالمنزل ، وكانت البيوت من طابق واحد في بداية إنشائها ، ثم بدأت تتكون من أكثر من طابق في أواخر عهد عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- وبنى عمرو بن العاص-رضي الله عنه- مسجده بجوار مدينة الفسطاط ، وكان بناء المسجد بسيطًا من الطوب اللبن ومغطى بالجريد ، وكان في ذلك الوقت يطل على النيل.

عصر الخلافة الأموية:

مع كثرة الفتوحات في عصر الأمويين كثر الاتصال بالحضارات المختلفة والتأثربها ، ولم يقف المسلمون عند حد التأثر والاقتباس ، فابتكروا وطوروا وأبدعوا ودخلوا مجال التنافس مع الحضارات الأخرى.

ومن أهم ما تركه لنا الأمويون:

مسجد قبة الصخرة: وتعد من أهم وأبدع آثار الأمويين ، وهي آية في الجمال والبراعة المعمارية ، وقد بناها عبد الملك بن مروان سنة (72 هـ)، ويلاحظ عليها المبالغة في الزخرفة ، والتأنق في رسم الأشكال الجمالية ، مما يوحي بدخول الفن الإسلامي مرحلة جديدة من الاهتمام بالزخرفة ، والتفنن في إتقان الزخارف بشتى أنواعها مما يدل على تأثر الفن الإسلامي بالفنون المعمارية السائدة فيهذا الوقت.

المسجد الأموي بدمشق: ويعد هذا المسجد من أهم فنون العمارة الإسلامية ، فقد بناه الوليد بن عبد الملك بين عامي (88-96 هـ)، ويعد مرحلة جديدة في دخول عنصر الزخرفة في بناء المساجد ، والتي لم تعد تحتفظ ببساطتها المعهودة ، ولعل هذا يعد تطورًا طبيعيًّا لتطور فن العمارة عند المسلمين.

قصور الأمويين: استحدث الأمويون نوعًا جديدًا من المباني وهو القصور ، ومنها قصر عُميرة ، وكان قصرًا صغيرًا على بعد خمسين كيلو مترًا من مدينة عمان عاصمة الأردن ، وقد بناه الوليد ابن عبد الملك ليستريح فيه عند خروجه للصيد ، ومنها قصر الشمال الذي بناه الخليفة هشام بن عبد الملك ، ومنها قصر المشتى ، وقد كانت هذه القصور على درجة عالية من البراعة في التصميم وجودة الزخرفة.

وكان عهد الوليد بن عبد الملك عهد دخول العمارة الإسلامية ميدان الزخرفة ، والتأنق في البناء ، وذلك بعد الاحتكاك بالحضارات الأخرى والتأثر بها ، والأخذ بزينة الدنيا ، التي لم يحرمها الإسلام ، ولكنهم مع أخذهم بزينة الدنيا ، لم ينسوا الاهتمام بأمور دينهم والعمل لآخرتهم.

عصر الخلافة العباسية:

وفي عهد العباسيين زاد الاتصال بالحضارات المختلفة ، فزاد الاهتمام بالعمارة وزخرفتها ، واشتد اهتمامهم ببناء القصور والمدن.

مدينة بغداد: فقد بنى الخليفة المنصور مدينة بغداد لتصير عاصمة العباسيينالجديدة ، وفي بناء هذه المدينة برزت الدراسات الجيدة لاختيار الموقع والتخطيط قبل التنفيذ ، فقد طلب الخليفة أبو جعفر المنصور رسم تخطيط لها على الأرض قبل إنشائها ، وتخطيط مدينة بغداد دائري ، ولها أربعة مداخل رئيسية محورية ، واستمر بناء هذه المدينة من عام (145 هـ) حتى عام (147هـ) وكان للمدينة سوران خارجيان ؛ الداخلي منهما أسمك وأعلى ، وكان يحيط بسور المدينة من الخارج خندق عرضه ستة أمتار.

وكان يقع في قلب المدينة قصر المنصور ، وكان يعرف باسم قصر الذهب ، وهو قصر فخم لم يشهد المسلمون مثله من قبل ، وبجوار القصر يوجد المسجد ، وهو ملاصق لحائط القصر الشمالي الشرقي ، وحول القصر توجد قصور الأمراء والمباني الحكومية ، وفي المساحات التي بين المداخل الأربعة الرئيسية كانت توجد المناطق السكنية ، وفي كل قسم شوارع رئيسية يتراوح عددها بين ثمانية واثني عشر شارعًا يتجه نحو وسط المدينة ، وكان للمدينة ثمانية أبواب حديدية.

مدينة سامراء: وكانت تسمى (سُرَّ مَنْ رَأَى)، وكان مكانها قبل بنائها دير(مكان عبادة للنصارى) في الصحراء اشتراه الخليفة المعتصم من أصحابه وبناها مكانه ، وكانت هذه الأرض تقع على الضفة اليمنى من نهر دجلة ، وعلى بعد مائة وثلاثين كيلو مترًا ، وأحضر المعتصم المهندسين فاختاروا له مواقع القصور ، وبنى لكل واحد من أصحابه قصرًا ، وتم تخطيط شوارع المدينة كأحسن ما تكون الشوارع من ناحية الاتساع والطول ، وأحضر من كل بلد من يجيد فن العمارة والزراعة وهندسة البناء والصناعة.

وبنى بهذه المدينة مسجد سامراء الجامع ، ويعد هذا المسجد أكبر المساجد القديمة في العالم الإسلامي ، فقد بلغت مساحته بدون الزيادات مرة ونصف قدر مساحة المسجد الطولوني بمصر الإسلامية ، وقد بدأ الخليفة المعتصم في بنائه وأتم بناءه الخليفةالمتوكل ، وهو مبني على مساحة مستطيلة الشكل ، بلغ طول ضلعها الأكبر(260) مترًا والأصغر (179) مترًا فكان يتسع لأكثر من مائة ألف مصلٍّ.

مدينة القطائع: وقد بناها أحمد بن طولون في مصر على نمط مدينة سامراء ، وقد اختار لها الفضاء الواسع الذي كان يقع إلى الشمال الشرقي من مدينة العسكر التي بناها العباسيون بالقرب من مدينة الفسطاط ، وينتهي هذا الفضاء الذي بنيت فيه عند هضبة المقطم. وبدأ ابن طولون عام (256 هـ) في بناء قصر رائع له ، وجعل أمامه ميدانًا عظيمًا يمارس فيه أنواع الرياضة ، وسمح لأصحابه وأتباعه ببناء

مساكنلهم ، فاتصلت بمدينة العسكر والفسطاط ، ويوجد في وسط القطائع هضبة سميت بجبل يشكر التي بنى عليها ابن طولون جامعه الكبير.

مسجد ابن طولون: وقد أنشأ ابن طولون هذا المسجد في مدينة القطائع التي بناها فوق هضبة جبل يشكر ، وكان المسجد يتصل بالميدان الذي أنشأه أمام قصره ولذلك سمي جامع الميدان ، ويتكون المسجد من صحن مربع في الوسط ، وهو فناء مكشوف ، وتحيط به أربعة أروقة ، ويحيط بالمسجد من الخارج زيادات من ثلاث جهات ماعدا حائط القبلة التي كانت تلاصقها دار الإمارة التي أنشأها ابن طولون.

اهتم العباسيون كذلك ببناء القصور الفاخرة ، مثل: قصر الخليفة المعتصم في مدينة سامراء ، وقصر المأمون ،وغير ذلك. وهكذا نجد تأثر العمارة الإسلامية في العصر العباسي بالعمارة في الحضارات الأخرى والاهتمام بالزخرفة والإسراف في بناء القصور وتشييدها ، مما يعد تطورًا لا يتمشى مع روح الاعتدال والبعد عن الإسراف الذي نهى عنه الإسلام.

العمارة في الأندلس وبلاد المغرب:

كان للزهاد والصوفيين الذين كانوا مع المرابطين والموحدين بالمغرب آراؤهم في البذخ والترف في البناء ، مما أدى إلى الاعتدال في البناء ، بعد أن كان قد وصل إلى درجة كبيرة من الإسراف والترف في البناء والزخرفة ، وقد بلغ الفن الإسلامي في الأندلس قمة ازدهاره ، في قصر الحمراء الذي بني في القرن الثامن الهجري ، ثم توقف تطور الفن الإسلامي في الأندلس بعد ذلك ، بسبب الاضطرابات التي وقعت فيها قبلسقوطها.

وكانت أهم المراكز الفنية المعمارية في بلاد المغرب أشبيلية ، وغرناطة ، ومراكش ، وفاس ، وقد تركت لنا الحضارة الإسلامية في بلاد المغرب عدة آثار معماريةرائعة ، نكتفي منها ببعض الأمثلة من بلاد الأندلس وهي:

المسجد الكبير بقرطبة: وقد بناه عبد الرحمن الداخل في قرطبة وقت استقراره ،ثم أدخلت عليه بعد ذلك تعديلات كثيرة ، وتضم المساحة الكلية للبناء -بما في ذلك الجدران- شكلاً يكاد يكون رباعيًّا ، وينقسم إلى قطاعين من الشمال إلى الجنوب يتساويان فيما بينهما تقريبًا ، ويبلغ ارتفاع المسجد تسعة أمتار ، يرتكز على أعمدة رفيعة ، تحمل أخرى أقل منها حجمًا ، يربط بينها عقود متداخلة يعلو بعضهابعضًا.

وقد بنى الولاة في الأندلس مساجد أخرى كثيرة ، غير أنها تهدمت ، وتحول بعضها إلى كنائس بعد زوال الحكم الإسلامي من الأندلس ، حتى مسجد قرطبة بُني في داخله هيكل كنسي ، وترك لنا الأندلسيون عدة آثار أخرى كثيرة منها:

مدينة الزهراء: وقد بناها عبدالرحمن الناصر سنة (325 هـ)، وقد جلب لبنائها الرخام من إفريقية وروما والقسطنطينية ، وبنى في قصر المؤنس بها حوضًا من الرخام زينه بنقوش مذهبة بها صور آدمية ، وجعل عليه تماثيل من الذهب المرصَّع بالدر ، وهذا تطور جديد حيث استعملت الصور والتماثيل التي حرَّمها الإسلام.

قصر الحمراء: بناه حكام بني الأحمر في غرناطة بعد زوال سلطان الموحدين من الأندلس ، ويعد هذا القصر أعظم الآثار الإسلامية في روعة البناء والزخرفة والهندسة ، فقد وضع فيه المهندسون خلاصة فنَّهم وجعلوه قصرًا خياليًّا ، تبهر زخارفه وعقوده الأبصار ، وتنطق الطبيعة بما حوله من خضرة وماء بأروع صور الجمال والبهاء.

عصر الفاطميين:

لقد تميز فن العمارة الفاطمي بسمات خاصة وطابع جديد ، وقد ترك لنا الفاطميون عددًا من الآثار المعمارية الرائعة نذكر لك أمثلة منها:

مدينة القاهرة: بعد استيلاء جوهر الصقلي على الفسطاط عام (358 هـ)، وضع تخطيطًا لمدينة القاهرة ، وكان تخطيطها على شكل مربع تقريبًا ، يواجه أضلاعه الجهات الأربع الأصلية ، ويتجه الجانب الشرقي نحو المقطم ، والغربي يسير بمحاذاة النيل ، والبحري نحو الفضاء الواقع في الشمال ، والقبلي يواجه الفسطاط ، وطول كل ضلع من أضلاع المدينة ألف ومائتا متر ، ومساحة المدينة ثلاثمائة وأربعون فدانًا ، وكان هذا السور مبنيًّا من الطوب اللبن ، ويتوسط المدينة قصران هما: القصر الكبير الشرقي ، والقصر الصغير الغربي ، وبينهما ميدان لاستعراض الجند ، وأصبحت القاهرة عاصمة للخلافة الفاطمية التي امتدت من المغرب إلى الشام ، وكان بسور القاهرة عدة أبواب لم يَبْقَ منها الآن سوى بابي النصر والفتوح في الشمال ، وباب زويلة في الجنوب ، وهي تمثل العمارة الحربية في العصر الفاطمي.

الجامع الأزهر: ومساحة المسجد الأزهر الأول الذي بناه القائد الفاطمي جوهر الصقلي بأمر الخليفة الفاطمي المعز لدين الله تقترب من نصف مساحته الحالية ، ولقد أضيفت إليه زيادات كثيرة في أزمنة مختلفة حتى وصل إلى تصميمه الحالي ، ويتوسطه صحن مكشوف تحيط به أربعة أروقة أكبرها رواق القبلة ، وليس بالجامع مئذنة ترجع إلى العصر الفاطمي ، فالمآذن الحالية تنسب للسلطان قايتباي والسلطان الغوري ، وللأمير عبدالرحمن كتخدا العثماني أحد أمراء القرن الثامن عشر الميلادي.

قصور الفاطميين: وقد شيد الفاطميون عددًا من القصور أهمها: القصر الذي بناه جوهر الصقلي بالقاهرة للخليفة المعز ، وكان في الفضاء الذي يقع فيه الآن.

خان الخليلي ومسجد الحسين ، وقد أطلق عليه القصر الشرقي الكبير ، كما أطلق عليه القصر المعزّي ، ويقال إنه كان به أربعة آلاف حجرة ، وبه عدة أبواب ، وكان في غرب هذا القصر ، قصر آخر أصغر منه ، هو القصر الغربي الذي بناه العزيز بالله ، وموقعه مكان سوق النحاسين ، وقبة الملك المنصور وما جاورها ، وهكذا غلب طابع الإسراف على فن العمارة في عهد الفاطميين ، وأسرفوا في النفقات على مبانيهم الخاصة بهم.

عصر الأيوبيين:

كان عصر الأيوبيين بداية ظهور خط النسخ على العمائر وغيرها من التحف ، واستعمل الخط الكوفي في كتابة الآيات القرآنية وغيرها. ومن مميزات فن العمارة الأيوبي تطور بناء المآذن كما

ظهر بناء الخوانق ، وهي دور كانت تبنى لإقامة الصوفية ، كما كثر إنشاء المدارس ، وأهم هذه **المدارس**:

المدرسة الناصرية: وكان إنشاؤها بجوار جامع عمرو ، فحين أصبح صلاح الدين سلطانًا بنى المدرسة الصلاحية عام (572 هـ) بجوار قبر الإمام الشافعي.

مدرسة وضريح السلطان نجم الدين أيوب: وتتكون من جزأين رئيسين يفصلهما ممر ، وتعلو مدخله مئذنة ، وملحق بالمدرسة ضريح ، وتعلوه قبة من الطوب وحوائط الضريح من الحجر ، وهنا تطور جديد وهو وجود الأضرحة والاهتمام بها ، وهذا أمر مخالف لسنة رسول الله ﷺ ، وكان أول من أدخل هذه الأضرحة السلاجقة.

عصر المماليك:

ينقسم عصر دولة المماليك إلى عصرين ، دولة المماليك البحرية ، ودولة المماليك الجراكسة ، ومن أهم العمائر الإسلامية في عهد المماليك البحرية: جامع الظاهر بيبرس ، ومدرسة وضريح ومستشفى السلطان قلاوون ومسجد المارداني ، ومدرسة ومسجد السلطان حسن.

وهذان مثالان لهذه العمارة:

مسجد الناصر قلاوون بالقلعة: وهذا المسجد مربع الشكل ، ويتكون من صحن محاط بأربعة أروقة ورواق القبلة ، يتكون من أربعة بلاطات ، والأروقة الأخرى يتكون كل منها من بلاطتين فقط ، أما القبة التي تعلو المحراب فتشغل ثلاث بلاطات مربعة ، والواجهة بسيطة يعلوها صف من النوافذ ذات العقود المدببة ، وللمسجد مدخلان بارزان عن الواجهة.

مدرسة ومسجد السلطان حسن: ويقع هذا الأثر الرائع بميدان قلعة صلاح الدين ، وقد أنشأه السلطان حسن بن مُحَمَّد بن قلاوون ، وهو من أجمل الآثار الإسلامية ، فمبانيه تجمع بين قوة البناء وعظمته ، ودقة الزخارف وجمالها ، والملاحظ في منطقة قلعة صلاح الدين التي يقع فيها هذا الأثر ، عند النظر إليها من لوحة مصورة ، كثرة المساجد الأثرية القديمة في هذه المنطقة.

أما دولة المماليك الجراكسة ، فقد تركت لنا عدة آثار رائعة منها:

مدرسة وضريح السلطان قايتباي بالقرافة الشرقية: ألحق سلاطين المماليك بالمساجد والخوانق الشرقية مدافن لهم ، ومن الآثار المعمارية التي أنشئت في هذه المنطقة مجموعة السلطان قايتباي ، والتي تعد من أبدع وأجمل المجموعات المعمارية في مصر الإسلامية ، ويرجع جماله إلى تنسيقها ، فهي تتكون من مسجد ومدرسة وسبيل وكتاب وضريح ومئذنة ، وقد أدَّت دقة الصناعة دورًا هامًّا في إبراز جمال هذا الأثر المعماري القيم.

مسجد الغوري ومجموعته المعمارية: وتتكون من وكالة وحمام ومنزل ومقعد وسبيل ، وكُتَّاب ومدرسة ، وقبة ، ثم المسجد ويمتاز شكل مئذنته بقمتها المكونة من رأسين مربعين ، وقد برع المماليك في بناء الدور والمنازل والقصور ، وبلغوا فيها حدًّا كبيرًا من الدقة والمتانة والجمال.

عصر السلاجقة:

اتسم عصر السلاجقة بسمات فنية معمارية كثيرة ، أهمها: الميل إلى استخدام النحت والحفر في الزخرفة ، بتأثير العنصر التركي ، ومن أبرز ما تركه لنا السلاجقة في عصورهم المختلفة ، عدد من المدارس الدينية للعالم الإسلامي ، وذلك بتشجيع من ملك شاه ووزيره نظام الملك.

كما أنهم أول من أدخل فكرة بناء الأضرحة كأبنية مقدسة في إيران ، ومنها انتشرت في العالم الإسلامي ، كما تركوا لنا عدة مساجد أثرية رائعة ، ومن أشهرها: مسجد الجمعة في قزوين ، ومسجد الجمعة بأصفهان الذي شيده نظام الملك.

عصر المغول في الهند:

اهتم الحكام المغول المسلمون في الهند بالعمارة الإسلامية اهتمامًا بالغًا ، وبلغ اهتمامهم ببناء الأضرحة خاصة مبلغًا عظيمًا ، ويرجع هذا الاهتمام بالأضرحة ونقشها وزخرفتها إلى قلة الفهم الصحيح للإسلام ، واختلاطه لدى بعض الهنود بما ورثوه من الحضارة الهندية القديمة ، إلا أنها من الناحية المعمارية تنتمي إلى فن العمارة الإسلامية ، فقد بناها مسلمون في حكومات مسلمة.

تاج محل: وهو أهم وأشهر الإنجازات الفنية المعمارية في الهند ، وقد بناه الإمبراطور شاه جهان في أجرا لزوجته ممتاز محل التي كان يحبها حبًّا شديدًا ، فماتت بين يديه فجأة ، فبنى لها هذا الضريح ، وقد انتشرت شهرته في العالم كله ، ويقع هذا الضريح على نهر اليمنى ، على شرفة مرتفعة في نهاية حديقة مستطيلة ، تتخللها أحواض الماء ، ويبدو خلفها مباشرة نهر جمنا مكتسيًا بالمرمر اللامع ، ويمتاز هذا الضريح بمآذن عالية في أركان الشرفة ، ومدخلٍ ذي واجهة عالية مرتفعة وخلف الواجهة قبة الضريح العالية ، وتحيط بها أربع قباب صغيرة ، وقد كسيت جدران الضريح كله بألواح المرمر الناصعة ، وزخرفت بزخارف طبيعية ، ويعتبر هذا الضريح أحد عجائبالدنيا السبع.

العمارة الإسلامية في عصر الخلافة العثمانية:

لقد ترك لنا العصر العثماني مجموعة من الآثار المعمارية الهامة منها:

مسجد أياصوفيا في تركيا: وقد كان كنيسة كبيرة ، وتحول إلى مسجد بعد أن فتح الأتراك القسطنطينية ، وقد حوَّر فيها المهندسون المسلمون حتى جعلوها تناسب الصلاة ، وهي طراز معماري جميل.

مسجد بايزيد الثاني في تركيا: وقد بدأ بناءه المعماري المسلم خير الدين ، وقد صممه على النمط البيزنطي مع تعديلات كثيرة بما يتلاءم مع أداء المسلمين للصلوات فيه.

جامع مُحَمَّد علي بالقاهرة: والذي بناه مُحَمَّد علي في قلعة الجبل عام (1236هـ) على طراز جامع السلطان أحمد بالأستانة في تركيا ، وهو يمتاز بدقة البناء ، وجمال الزخرفة ، وكثرة القباب والمآذن ، وقد بنى العثمانيون عددًا من القصور الفخمة ، والتي تجلى فيها الإسراف واضحًا.

انتشار الإسلام وحضارته في بعض البلدان

انتشرت الحضارة عن طريق متعدد منها التعليم حيث كان طلاب الغرب وغيرهم الفارقون في الجهل آنذاك يأتون إلى المسلمين في مراكز التعليم مثل الاندلس وبغداد ودمشق. أخذو منهم

العلوم البحتة ، وكذلك الحروب الصليبية كانت لها تأثيرها الكبير على انماء علومهم ، والتجارة بين المسلمين والغرب. الزواج بينهم وغير ذلك.

في إفريقيا

كان الداعي المسلم يقوم بأعمال تنطوي على الرفق والأناة ، في سبيل نشر دعوته ، فإذا كان الداعي مصرياً أو مغربياً أو حجازياً ، او عائداً من رحاب الأزهر أو من معاهد الشمال ، فإنه يغلب أن يلبس زي البلاد التي جاء منها ، فالعمامة الناصعة البياض تعلو رأسه ، ويرتدي الجبة والقفطان أو الثوب الفضفاض ، ويمسك بمسبحة طويلة ، ثم هو يحدث الناس حوله عما رأي بمصر وغيرها ، وما شاهد في جولاته ، وعن مظاهر الحضارة الإسلامية ، وعن المساجد الشاهقة ودور العلم الفسيحة ، وكل هذا يضفي على الرجل هالات من المجد ويجذب إليه مختلف الطبقات من الناس ، وفي يد الداعية المسلم عصا سحرية يلوح بها للأفريقيين فيستجيبون له ، فيكفي أن يقرر لهم أن دخولهم الإسلام يجعلهم أعضاء في المجتمع الإسلامي الكبير الذي يمتد من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي ، وإلى أسوار الصين وجذر اندونيسيا ، وإن أخوة شاملة تربط الجميع ، وأن أرض الإسلام أرض لكل مسلم ، فأينما ينزل يجد الترحاب. و من أهمّ أسباب دخول الأفارقة في الإسلام خلال القرون الأخيرة هو المبدأ المساواة وعدم التمييز بين البشر.

نجد الدعاة المسلمين ينفذون إلى قلب افريقية ويصلون في سهولة إلى الوثنيين ويحولونهم إلى الإسلام وأن مما يساعد على تفسير نجاح الإسلام في إفريقيا ترقية الإسلام بالإنسان الافريقي حضارياً ، فيقول أن مجرد الدخول في الإسلام يدل ضمنياً على الترقي في الحضارة ،وانّه خطوة جد متميزة في تقدم القبيلة الزنجية عقلياً ومادياً ،وكانت القوى المحشودة جنباً إلى جنب مع العقيدة الإسلامية تبلغ عن القوة والبأس إلى حد أن البربرية والجهل والخرافة الدينية. تلك الأمور التي كان الدين يجد في القضاء عليها ،لا تجد إلا فرصة يسيرة في إطالة المقاومة ،وأوضح ذلك التغيير الذي أحدثه الإسلام في سلوك الإنسان الافريقي بقوله:"إن الرذائل وهي أكل لحوم البشر ،وتقديم الإنسان قرباناً ، ووأد الأطفال أحياء تلك الرذائل التي كانت منتشرة في كل أفريقيا ..قد اختفت فجأة والى الأبد ، السكان الذين يعيشون حتى ذلك الوقت عراة ، بدأوا يرتدون الملابس ، بل يتأنقون في ملابسهم ، السكان الذين لم يغتسلوا قط من قبل ، بدأوا يغتسلون ، بل يكثرون من الاغتسال ، لأن الشريعة الإسلامية المقدسة تأمر بالطهارة . وقل السلب المطلق الذي لا يقوم على تفرقة بين من يسلبونهم ، كم أصبح تأمين الناس على أملاكهم وأرواحهم أكثر من ذي قبل ..

ويتحدث آرنولد عن النظافة التي طرأت على الأفارقة بفعل الإسلام في دورهم ومساجدهم فيقول : لقد أصبح المسجد الجيد البنا النظيف لما فيه من أذان للصلاة خمس مرات في اليوم وقبلة تتجه إلى مكة ، وإمام وصلاة جمعة ، مركزاً للقرية بدلاً من دار عبادة الأوثان أو اليويو Juiu ذات المنظر البشع ، لقد طغت عبادة الله الواحد القهار ، الكائن في كل مكان ، العليم ، الرحيم ، على كل ما لقن اهالى عبادته من قبل طغياناً لا حد له .

وعن اللغة العربية وما أحدثته من تطور في حياة الأفارقة وثقافتهم بقوله :

"وبلغت اللغة العربية وهي اللغة التي تكتب بها دائماً الكتب الدينية حداً يفوق كل وصف من المعنى والجمال ، وإذا ما تعلموا ، أصبحت لغة التخاطب بين قبائل نصف القارة ، وتستخدم كمقدمة لدراسة الأدب ، بل هي أدب في ذاتها ، وهي إلى ذلك لغة شريعة وقانون مكتوبة ، حلت محل نزوات شيخ القبيلة الاستبدادية ، وهذا تغير في ذاته تقدماً هائلاً في الحضارة".

بجانب كل ذلك ظهرت صناعات وتجارة بمفاهيم جديدة ، ليست كالتجارة الصامتة التي تقوم الإشارة فيها مقام اللغة في التفاهم ، ولا كالمبادلة البدائية في الخامات ، تلك المبادلة التي نعرف من هيرودوت (484 – 425 ق.م) أنها وجدت في إفريقية منذ أقدم العصور ، ولا كالمقايضة بالودع ، أو البارود أو الطباق والخمر ، تلك المقايضة التي لا تزال تستخدم على طول الساحل وسيلة أساسية في التبادل ، ولكنها صناعات تنطوي على مهارة فائقة ، وتجارة منظمة تنظيماً محكماً وظهرت هذه المدن الكبيرة في أرصفة الزنوج بتأثير هذه الصناعة والتجارة ، وتأثير الحكومات الأكثر استقراراً التي جاء بها الإسلام. فمن المسلم به من كل الوجوه أن الإسلام يمد السود الذين أسلموا حديثاً بالنشاط والعزة والاعتماد على النفس ، واحترام الذات ، وهذه كلها صفات يندر جداً أن نجدها في مواطنيهم الوثنيين أوالمسيحيين.

في جنوب و شرق آسيا

فيالساحل الغربي للهند:

-نشأت جاليات عربية بسواحل الهند تكونت من الجموع الغفيرة من تجار العرب الذين كانوا ينقلون بضائعهم إلى الصين و جزر الهند الصينية.

-نشأت علاقات ودية بينهم وبين حكام البلاد الاسلامية من الهنود الذين تولوا حمايتهم.

-في القرن الثامن الميلادي (الثاني هجرية) تجاوزت الجيوش الإسلامية العربية الحدود الفارسية وفتحت بلاد السند مما ادى الى نشاط المراكز التجارية.

طرق التجارة في العصور الوسطى:

-الطريق البحري : (من غرب اوروبا ثم مصر إلى المشرق) مرورا بالبحر الاحمر وموانيه المختلفة.

-الطريق التجاري 1 : (من روسيا و بلاد المشرق عن طريق بحر قزوين) إلى بخارى وسمرقند ثم إلى الصين.

-الطريق التجاري 2 : (من مصب نهر السند الى بلاد فارس) مباشرة.

-الطريق البري : (من غرب اوروبا إلى المشرق) بداء من الاندلس عبر مضيق جبل طارق إلى المغرب العربي إلى مصر ثم الشام إلى العراق ففارس حتى الهند و الصين.

جزيرة سومطرة

-انتشر الاسلام خلال القرن الثالث عشر بفضل التجارة و الدعاة المسلمين.

-في القرن الرابع عشر شارك شريف مكة في نشر الإسلام في سومطرة حيث أرسل عددا من الدعاة لتفقيهأهلها في شئون الدين ثم قام الدعاة بنشر الإسلام بين جيرانهم.

-بالرغم من استيلاء الهولنديين على جزيرة سومطرة - إلا إن الإسلام ظل قويا و لم يتأثر بالحركة التبشيرية المسيحية الهولندية بالجزيرة لاستقرار الدين الاسلامي في قلوبهم.

شبه جزيرة الملايو

-في القرن الثالث عشر انتقلت الجاليات الاسلامية إلى جنوب الملايو.

-استطاع احفادهم من تأسيس مدينة ملقا (سنغافورة)

-اصبحت المدينة مركز اشعاع للدين الاسلامي في المنطقة حيث يتمتع المسلمون في الملايو بالتسامح الدينية و الحرص على التمسك بتعليم دينهم.

-مما يمكنهم من نشر الدين الإسلامي بالطرق السلمية بين جيرانهم و بنفس طريقة انتشار الإسلام في جزيرة بورنيو.

الأخلاق سرُّ نجاح انتشار الحضارة الإسلامية

الفيلسوف الفرنسي المعروف جوزيف أرنست رنان، يقول: "تضمّ مكتبتي آلاف الكتب السياسية والاجتماعية والأدبية وغيرها، والتي لم أقرأها أكثر من مرة واحدة.. وما أكثر الكتب التي للزينة فقط.. ولكن هناك كتابا واحدا تؤنسني قراءته دائما.. هو كتاب المسلمين "القرآن"، فكلما أحسست بالاجهاد وأردت أن تنفتح لي أبواب المعاني والكلمات.. لقد طالعت القرآن ووجدت أنني لا أشعر بالتعب أو الملل بمطالعته بكثرة.. ولو أراد أحد أن يعتقد بكتاب نزل من السماء فإن ذلك الكتاب هو القرآن لا غير.. إذ أن الكتب الأخرى ليست لها خصائص القرآن".

ويقول بن غوريون: "إن أخشى ما نخشاه أن يظهر في العالم العربي مُحَمَّد جديد".

ويقول لوارنس براون: "لقد وجدنا أن الخطر الحقيقي علينا موجود في الإسلام وفي قدرته علي التوسع والإخضاع وفي حيويته المدهشة.. وإذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية أمكن ان يصبحوا لعنة علي العالم وخطرا.. أوأمكن أن يصبحوا أيضا نعمة له.. أما إذا بقوا متفرقين فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير".

ويقول مرماديوكباكتول: "يمكن للمسلمين أن ينشروا حضارتهم في العالم الآن بنفس السرعة التي نشروها سابقا.. بشرط أن يرجعوا إلي الأخلاق التي كانوا عليها حين قاموا بدورهم الأول.. لأن هذا العالم الخاوي لا يستطيع الصمود أمام روح حضارتهم".

الدور الحضاري للمسلم المعاصر (حكمة البحث):

على المسلم أن يضع أمام عينيه عدة حقائق، حتى يكون قد أدى دوره تجاه حضارته الإسلامية، ومن أهمها:

- أن الانتساب للإسلام شرف وعزة، لأن الإسلام هو الدين الذي اختاره الله لخلقه، قال تعالى: (إنَّ الدين عند الله الإسلام) [آل عمران: 19].

- أن العلم وحده ليس أساس الحضارة والتقدم ، وإنما لابد من العقيدة الصحيحة والأخلاق القويمة مع الأخذ بأسباب العلم والحضارة ، فلا حضارة بلا دين ؛ لأن خلق الحضارة الفاسدة قد يكون سببًا في هلاكها وضياعها.
- أن الحكمة ضالة المؤمن إذا وجدها فهو أحق الناس بها ، فعليه أن يقتبس من تقدم الغرب أو الشرق الأشياء المفيدة النافعة ، التي لا تتعارض مع مبادئ الإسلام وقواعده.
- أن صلاح هذه الأمة يكون بالالتزام بتعاليم الإسلام ، يقول عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-: لقد كنا -نحن العرب- أذلَّ الناس ، حتى أعزنا الله بالإسلام ، فإن ابتغينا العزة في غيره ؛ أذلنا الله.

وبعد أن يعلم المسلم هذه الأمور ويعيها ، فإن أسئلة كثيرة تدور في ذهنه عن دوره تجاه حضارته ، وتأتي الإجابة واضحة جلية ، وهي أن دور المسلم يتحدد من ناحيتين:

الأولى: أن يهتم كل مسلم بحضارته ويتعرف عليها ، فيعرف عوامل نجاحها وعوامل ضعفها ، فيأخذ بعوامل النجاح ، ويبتعد عن عوامل الضعف.

الثانية: أن يكون المسلم نفسه مبدعًا ومخترعًا وصانع حضارة ، يساهم بما يستطيع في إعادة بناء هذه الحضارة ، فالقرآن الكريم أمر المسلمين كثيرًا بالسير في الكون والتفكر في مخلوقات الله ، ومعرفة سنن الله في هذا الكون.

دور المؤسسات الدولية في إحياء الحضارة الإسلامية

أولاً: الإعلام:

ينبغي أن تُستغل وسائل الإعلام استغلالاً يخدم مبادئ الحضارة الإسلامية وأهدافها ، سواء المرئي منها أو المسموع أو المكتوب ، فيعرض فيها جوانب عظمة هذه الحضارة وأسباب تفوقها ، وإبداع المسلمين في كل المجالات ، والتعريف بعلماء الحضارة الإسلامية في كل الميادين ، ونشر أعمالهم ، وأن تقدم البرامج التي تتحدث عن ذلك كله ، وكيف أن الحضارة الإسلامية كانت هي المنبع الصافي الذي استقى منه الأوربيون ، وتعلموا منه في عصور جهلهم ، وكيف انتقلت هذه الحضارة إلى أوربا ، فتقدمت هذا التقدم الذي تعيشه هذه الأيام.

كما أنه يجب عليه عرض التطورات العلمية العالمية في كل المجالات ، حتى يستفيد من ذلك طلاب العلم ، ويكون المسلمون على وعي بما وصل إليه العلم ، فينطلقون إلى الإبداع والابتكار.

ثانيًا: التعليم:

ودور التعليم في إحياء وبعث الحضارة الإسلامية دور خطير ومهم ، ولذلك ينبغي أن يتعاون الجميع لإصلاح مناهج التعليم ؛ لأنه يجب أن يتعلم الطلاب في كافة مراحل التعليم مبادئ دينهم وحضارتهم ، فيجب أن ينتهي الطالب مع انتهائه من مراحل التعليم من حفظ كتاب الله ، وأن يدرس في كل مرحلة شيئًا مبسطًا عن قواعد الفقه الإسلامي وعلوم القرآن ، والحديث النبوي الشريف ، وأن تدرس مادة الحضارة الإسلامية في مرحلة التعليم العالي في الجامعات وفي كل

الكليات، لتظهر كيف تفوق المسلمون في كل مجالات الحياة، وكيف أن المسلمين لما التزموا بإسلامهم سبقوا الأوربيين في كثير من الاكتشافات العلمية.

ولابد من العناية بتدريس اللغة العربية لغة الحضارة الإسلامية، تدريسًا ييسر فهمها، ويحببها إلى نفوس الطلاب، كما يجب الاهتمام بتدريس اللغات الأجنبية، وتعريب العلوم التي تدرس باللغات الأجنبية، ويجب متابعة التطورات العلمية في كل المجالات، وترجمتها لنكون على صلة بها، وهذا هو الأسلوب الذي اتبعه الأوربيون في بداية أمرهم، حيث قاموا بترجمة العلوم الإسلامية إلى لغاتهم ودرسوها بلغتهم، وبذلك استطاعوا أن يبدعوا ويبتكروا في كل المجالات.

وقد شهد الأوربيون أنفسهم بفضل علماء الحضارة الإسلامية على أوربا، ومن هؤلاء: الألمانية (سيجريد هونكه) في كتابها الرائع (شمس العرب تَسْطع على الغرب)، حيث قالت في مقدمته: إن هذا الكتاب يرغب في أن يرد للعرب دَيْنًا لهم على البشرية استُحِقَّ منذ زمن بعيد، بالإضافة إلى دراسة التاريخ دراسة إسلامية تتفق مع مبادئ الإسلام، وتنقيته من الأخطاء التي علقت به، والاستفادة من عصور القوة التي عاشها المسلمون، ومعرفة أسباب هذه القوة والأخذ بها.

ولا يتحقق كل هذا إلا بالاهتمام بالمعلم الذي يدرِّس العلم لطلابه، فينبغي إعداده إعدادًا علميًّا جيدًا، وتكريمه ماديًّا ومعنويًّا واجتماعيًّا، وتوفير سبل الراحة له، حتى يقوم بالتعليم والتربية لأبناء المسلمين على مبادئ الإسلام وقيمه على أكمل وجه.

ثالثًا: الاقتصاد:

ينبغي إصلاح المؤسسات الاقتصادية في الدول الإسلامية بما يتلاءم مع مبادئ الإسلام وتعليمه، فينبغي أن يلغي نظام الربا، ويكون التعامل بنظام المضاربة الشرعية، وأن تستقي قوانين الاقتصاد من مبادئ الحضارة الإسلامية السامية، ومن مؤلفات علمائها في الاقتصاد، وينبغي أن يكوِّن المسلمون فيما بينهم ما يسمى بالسوق الإسلامية المشتركة لمواجهة تحديات السوق العالمية.

رابعًا: السياسة:

الأخذ بالنظم السياسية الإسلامية المختلفة، والاستفادة بما وضعه علماء الإسلام في هذا المجال من قوانين ومبادئ مستقاة من شريعة الإسلام.

خامسًا: الجانب العسكري:

على المسلمين أن يأخذوا بأسباب القوة العسكرية، وأن يسلحوا جيوشهم بأحدث الأسلحة التي توصَّل إليها العلم، وأن يكون تدريب قواتهم المسلحة على أرقى مستوى، ويدرسوا كيفية التخطيط للحروب الإسلامية، وعوامل انتصار الجيوش الإسلامية على غيرها من جيوش الدول الكبرى في ذلك الوقت، وكيف كان يعامل المسلمون أسراهم، وكيف كانوا يخوضون المعارك، والأحكام الخاصة بالحرب، وأن يربَّي في جنود المسلمين روح الجهاد للدفاع عن الإسلام ضد أي عدوان على الأرض أو العِرض، ومعرفة فضل الجهاد والشهادة في سبيل الله.

كما يجب أن تتحد الجيوش الإسلامية فيما بينها، وتكوِّن قوة عسكرية مشتركة، ويتم تبادل الخبرات في مجال التدريب والتسليح، والتخطيط للحروب، ولابد أن نصنع سلاحنا بأنفسنا

ولا نعتمد على غيرنا في استيراد السلاح ، ولو تم هذا واتحد المسلمون في مجال الإعداد العسكري بكل جوانبه ؛ لأصبح المسلمون مهابين من أعدائهم . والله تعالى أعلم

قائمة المراجع :

- أسراحه ، حانون ، *تاريخ التربية الإسلامية* ، الطبعة الأولى ، جاكرتا: لوغوس ، 1999
- النظار ، شمس ، *تاريخ التربية الإسلامية* ، الطبعة الثانية ، جاكرتا: كنتجانابرينادا ميديا غروب ، 2008
- أنوار الرفاعي ،*الإسلام في حضارته و نظمه ، الإدارية والسياسية والأدبية والعلمية والاجتماعية والاقتصادية والفنية* ، دار الفكر ، دمشق ، ١٤٢٢ هـ الموافق ٢٠٠٢ م
- حسن علي حسن و د. التوم الطالب مُحَمَّد ، *تاريخ الحضارة العربية الإسلامية* ، بيروت ، مكتبة الفلاح ، 1986م.
- Abu Bakar, Istianah, M.Ag., *SejarahPeradaban Islam*, Malang: UIN Malang Press, 2008.
- FadilSj*, PasangSurutPeradaban Islam dalamLintasanSejarah*,UIN-Malang Press, 2008
- Syari'ati, Ali. *MembangunMasaDepan Islam,* Bandung: Mizan, 1993, Cet. III.
- Sardar, Ziauddin. *RekayasaMasaDepanPeradaban Muslim,* Bandung: Mizan, Cet. I, 1986.
- S. Takdir A. 1975. *PerkembanganSejarahKebudayaan Indonesia*. YayasanIdayu ; Jakarta.
- Sardar, Ziauddin dan Zafar Abbas Malik, *Mengenal Islam for Begginers*, Penerjemah: Julianto, Bandung: Mizan,1999
- Tafsir, Ahmad, *Sumbangan Islam kepadaIlmudanKebudayaan*, Terj., Bandung: Pustaka, 1986
- Zuhairini, *SejarahPendidikan Islam,* Jakarta, BumiAksara, 1997
- www.mubarak-inst.org/stud_reas/research_view.php?id=23
- http://islam.aljayyash.net/encyclopedia/book-7-1
- http://vb.altareekh.com/post238306-2/
- http://www.jzrnt.com/vb/t8360.html
- www.egyptsons.com
- http://ar.qantara.de
- www.uae.ii5ii.com